عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر أمم : اذا كان عظيما ، وامر امـم : اذا كان صغيـرا . وقـال الاصمعي : امر أمم : اي قصد . وقال ابو عبيدة : الامم : القريب . وقال عمرو بن قميئة فى الصغير :

يا ليف نفسي على الشباب ولم
افقـد بـه اذ فقدتـه اممـا

وقال الاعشى :

لئن قتلتم عميدا لم يكـن اممـا
لنقتلن مثلـه منـكم فتمتثـل

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب فى معنى القصد :

اتانـي عن بنـي الاحـرا
ر قـول لـم يكـن اممـا
ارادوا نحـت اثلتنـا
وكنـا نمنـع الخطمـا

وانشد ابو عبيدة فى معنى القريب :

يا ليت شعري عنك والامـر امـم
ما فعل اليوم اويـس فـى الغنـم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد فى معنى القريب :

« قومي اياد لو انهـم امـم »

اي لو انهم قريب . وقال الآخر :

كوفيـة نـازح محلتهـا
لا امم دارها ولا صقـب

ويروى : « لا سقب » بالسين ايضا : وهو القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مسقبة بدارنا : اي قريبة منها . وفى حديث الشفعة : « الجار اولى ـ او احق ـ بسقبه » : اي بما دنا منه وقرب من داره » . ذكر ابا زيد ، والاصمعي ، وابا عبيدة ، وقطربا ، وابا حاتم .

ونستخلص من دراسة اضداد ابي الطيب الظواهر التالية :

الانتظام : فقد بذلت الاضداد عنده نضجها فى الدراسة ، وغايتها فى الانتظام الداخلي . فالمعاني تقدم فى مفتتح المادة ، ثم ترد الشواهد على المعاني . ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين . فيعتمد على الشعر كما راينا فى المادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى فى قوله (25): « ومن الاضداد بطانة الثوب . يكون بمعنى البطانة ، وبمعنى الظهارة . وقال الحسن فى قول الله تبارك وتعالى : « بطائنها من استبرق » قال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كل واحد من الظهارة والبطانة يكون وجها . تقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، للذى نرى منها . وقال الزبير فى قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعني هربوا فى البلاد. وقال آخرون فى هذه الآية : انما اراد الله تعالى ان بطائن هذه الفرش من استبرق ، وهو الغليظ الفاخر من الديباج ، فالظهائر اشرف واعلى . والله اعلم بكتابه » .

ويعتمد على الاحاديث ، مثل قوله فى مادة باع (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من باع عبدا وله مال ، فماله الذى باعه الا ان يشترط المبتاع » اي المشتري. فالمبتاع يكون بمعنى البائع ، والمبتاع يكون بمعنى المشترى ، والمبتاع يكون بمعنى المبيع ، والمبتاع يكون بمعنى الشيء المشترى. وفى حديث رواه ابن سيرين ، عن شريح ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيعان ـ يعني البيع والمشتري ـ والبيع قائم بعينه ، فالقول ما قال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء المبيع . وفى حديث آخر : « البائعان بالخيار » يريد البائع والمشتري .. وفى حديث آخر رواه ابن

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .
(26) 47 . وانظر الفهارس .

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتبايعان استحلف البائع ، ثم كان المبتاع بالخيار » .

ويعتمد على اقوال الصحابة، كما راينا فى ظهر، وكما نرى فى قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : بيعوا لي كفنا ، اي اشتروه لي » .

ويعتمد على اقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس فى حياتهم اليومية ، كما راينا فى ظهر ، ونرى فى قوله ايضا (28) : « ذكر اعرابي جريرا فقال : كان سفسيرا اي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الامثال ايضا (29) : « وبشرة الانسان : ظاهر بدنه عندهم جميعا ، والجمع بشرات وبشر ... ابو زيد : تقول العرب فى مثل: « اراك بشر ما احار مشفر » وبعضهم يقول : اولج مشفر . قال : سمعتها من رجل من بني اسد يقول : ما اكلت استبان على بشرتك وفى لونك » .

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى فى قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قضاعة فى الـ
ـبيت الذى يستظل فى طنبه

اراد نقية من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها. وكذلك قوله :

امك بيضاء من قضاعة قد
تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا : الاعمام والاخوال .. » .

ونسب كثيرا من الشواهد الى من انشدها كما راينا فى امم : ونرى فى قوله : « الامين : المؤتمن، والامين المؤتمن، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد ابو حاتم للنابغة فى معنى المفعول به .

وكنت امينه لو لم تخنه
ولكن لا امانة لليمانى »

واغترف ابو الطيب من اضداد سابقيه ، وما اتوا به فى سبيل تفسيرها وتعليلها ونقدها والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول الى قائله ، حتى فى الاحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، اشار الى ذلك . فكان اكثر من جمع بين عبارته قطرب وابو حاتم . وجمع ايضا بين التوزي ، وقطرب وابي عمرو ، وقطرب وابي عبيدة . وجمع احيانا بين اقوال ثلاثة منهم معا، مثل قطرب وابي حاتم والتوزي، وابي عبيدة وابي زيد والاصمعي .

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان كثرت الاضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الانباري ، وان تمثلت فى كتابه جميع الظواهر التى وجدت فى كتبهم ، فى الاضداد والشواهد والتفسير . بل ان ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعه فى آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يلغ شخصية ابي الطيب . فما اكثر تعليقاته الشخصية التى يورد بعضها عن لغويين آخرين ، ويأتي ببعضها من معارفه العامة ، ويقصد فيها الى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجيح ، وما الى ذلك من امور .

والحق انه يعادل كتاب ابن الانباري قدرا واهمية . ويفوقه فى اتجاهه الادبي ، وكثرة شواهده وتنوعها ، وكثرة الاحاديث عنده ، وفوائده التى اضافها ، واصراره على نسبة كل قول الى صاحبه ، وما ادخله على الاضداد من ترتيب . اما ابن الانباري فيفوقه فى القرآنيات ، والعلل اللغوية والصرفية ، والعبارات المؤلفة .

— * —

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان فى مقدمة اضداده انه نظر فى كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالا : اذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

(27) 45 . وانظر الفهارس .
(28) 45 . وانظر الفهارس .
(29) 74 . وانظر الفهارس .

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف ان يخرج مختصرا حاويا للاضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم رد على من انكر الاضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله ابو الطيب في ترتيب اضداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الاصلي الاول واهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة توردُ اللفظ الضد يليه معنياه . وعلق من وقت لآخر على بعض الاضداد بعبارة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبيعي ان الكتاب حوى الانواع المتعددة من الاضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي اشار منها الى كتب الاصمعي والفراء وقطرب وابن السكيت وثعلب والسجستاني وابن الانباري .

وامثل لنهج الكتاب بما يلي :

« الأمين : المؤتمن والمؤتمن .

المأتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرح ، وفيه نظر .

اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

اذا : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

الأمم والأمم : الحقير والعظيم .

الآشرة : الآشرة والماشورة » .

— * —

كتاب الصغاني

في اوائل القرن السابع ، اخرج الصغاني كتابا في الاضداد ، وصل الينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتتح الكتاب بالعبارة التي يبدو ان الصغاني كان يفتتح بها كتبه جميعا مع البسملة والحمد ، والتي تدل على اعتكافه في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمته بانه قرأ جميع كتب الاضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والترتيب على حروف الالفباء ..

ولم اعثر قبل الصغاني على كتاب في الاضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله اول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا الى اوائل الحروف ، فحروفها الثانية ، فالثالثة فالرابعة اي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الالفاظ الا على حروفها الاصلية . اما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويبدو من عباراته الاخيرة انه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تمحيص او نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معا . وقد اشار الى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الاضداد ، ولله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الاضداد ، ولكني قفوت فيه آثار من سبقني الى جمعها مثل ابن الانباري وغيره ، حذار ان يقال : اهمل شيئا مما اثبتوه ، فليمهد العذر العاثر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا » .

وحين ندرس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده نراه في الخطوة الاولى جمع 337 ضدا ، ولكنه لم يذكر كل ما في اضداد قطرب وابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد حذف من الاولى حوالي 67 ضدا ، ومن الثانية حوالي 10 اضداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضدا . واتى في مقابلها بقريب من 75 ضدا ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على اساس الشك والنقد ، اذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه . اضف الى ذلك ان كثيرا مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الاضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 210، 185، 85 214، 218 ، 213 ، 24) . ولكن تجب الاشارة الى ان كثيرا مما حذفه خاطيء (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) او مشكوك فيه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 270 ، 266 ، 118 ، 275 ، 252 ، 265 ، 243 ، 242 ، 257 ، 271) او انفرد به قائلوه (16 ، 100 ، 105 ، 96 ، 17) واكثر ما حذفه من اضداد ابن الانباري ، او ينطوي تحت صيغ فعول (60 ، 158 ، 159 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165) او فعيل 203 ، 204 او افتعل (175) .

اما المنهج الذي سار عليه فغاية في البساطة : ايراد اللفظ ومعنييه المتضادين . ولا عناية بما بعد ذلك . فلا ذكر للغويين الذين يأخذ عنهم الا قليلا (490، 688، 706) ولا ذكر لشواهد، ولا لمشتقات ولا لمعان اخرى للاضداد ، ولا لفوائد وزيادات واحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته « متن الاضداد » . وهاك بعض الامثلة :

« الابض : السكون والحركة .

الأبـــل : الرطب واليبـــس .

المأتـم : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفـرح .

الارة : الحفرة التى تحفر للنار ، والنار نفسها ايضـا .

الأزر : القوة والضعف .

أسـد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .

افـد : اذا اسرع واذا ابطـأ .. الى آخـر الكتـاب » .

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالفاظ عنده . فقد قدم « أون » على « أور » و « تصدق » على « صامت » و « قانـت ـ قنيـص ـ قانـع قنوع » على « قموء » والعكس اصح . كما قدم « ناء » فى أول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء المتكلم « نؤت » والأصح وضعها فى النون مع الواو .

— * —

كتـاب عبد اللـه بـن محمـد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الاضداد عنوانها : « ذكر بعـض الاضـداد التى ذكرت فى القاموس « جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ...» . تحت رقم 241 مجاميع وهي ورقات ، ناقصة من آخرهـا . اذ وقفت فى اثنـاء مادة « القتين » .

وواضح من عنوانهـا ان المؤلف جمع ما فيهـا من اضداد من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه فى اثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الاضداد يعثر عليه . ولم يختر المؤلف الاضداد التى نبـــه عليها الفيروزابادي وحدها ، بل اختار ايضا الالفاظ التى روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على انها مـن الاضداد . ولم يغير المؤلف فى ترتيب الالفاظ التى اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، أي على الحرف الاصلي الاخير اولا ، فالحرف الاصلي الاول ثانيا ، فحروف الوسط الاصول مرتبة ..

وسار المؤلف ايضا على نهج القاموس فى العناية بالتفسير وحده ، وحذف الشواهـد . فكان يـورد اللفظ ثم معنييـه المتضاديـن . وكـان فى غالـب الاحيان يحافظ على نص القاموس ايضا . وهذه بعض الامثلة من باب الهمزة منه ، تؤكد ما سبق من اقوال: « ثأثأ الابل : عطشها وارواها . وثأثـأت : عطشـت وريت . جفأ الباب : اغلقه وفتحه كأجفاه . خجيء : استحيا وتكلم بالفحش . وأدأ الشيء : حركه وسكنه. داراته : دافعته ولاينته . رقأ بينهم : افسد واصلح. القرء : الحيض والطهر . ناء بالحمل : نهض مثقلا ، واثقل فسقط . وراء : خلف وقدام » .

— * —

كتـاب محمـد المدنـي

تقتني المكتبة السليمانيـة بالاستانـة رسالـة اخرى فى الاضداد للشيخ محمـد المدنـي ، تماثل الرسالة السابقة او تكاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها . ولكن لها خاتمة اخذ جزءا منها من المزهـر للسيوطـي ، ومن اضداد ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعت القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجـت مـا صادفته ، ولم ادع الاحاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالـة السابقة لا نجد بينهما فرقـا يذكـر ، لاعتمادهمـا الرئيسي علـى القامـوس المحيـط فى الاضـداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله :

ثأثأ الابل : ارواها وعطشها ضد . وثأثأت الابل عطشت ورويت ضد . جفأ الباب : اغلقـه كأجفـاه وفتحه ضد . داراته : داريته ودافعته ولاينته ضد . رقأ بينهم رقأ : افسد واصلح ضد . القرء ، وبضم : الحيض والطهر ضد » .

— * —

دورق الأنـداد للأبيـاري وشروحـه

وفى أوائل العصر الحديث شارك الشعـر فى حركة الاضداد ، فألفت فيهـا الرسائـل المنظومـة ووصل الينا من هذه الحركة رسالتـان . اولاهمـا المسماة « دورق الانداد فى نظم اسماء الاضـداد »

للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام 1305 هـ. وقد الفه قريبا من عام 1297 ، اذ تمت النسخة الثانية منه على يد الناظم فى ضحوة يوم الثلاثاء تاسع شوال من ذلك العام ، كما تصرح نسخة دار الكتب المصرية ، التى تحت رقم 844 لغة .

والسبب الذي دفع الابياري الى تأليف نظمه اعانة الادباء الذين يرمون الى التأنق بالجناس والتورية والمحسنات . واما المراجع التى اعتمد عليها فالقاموس المحيط للفيروزابادي وشراحه ، قال الناظم فى مقدمة قصيدته :

وقد تيسر لي فى جمعها جمل
تجمل المجتني من روضها كلما

كل الذى ذكر القاموس جئت به
الا الذى بصري قد زاغ منه وما

وزدت اشياء من شراحه وسوا
ها ، هكذا منه، لكن بالذي فهما

حتى ظننت بأن لم يبق قط من ال
أضداد شيء، ولكن يا اخي ربما

وشرح لنا الناظم منهجه فى المقدمة ايضا ، فعرفنا بانه لم يلتزم الالفاظ الواضح تضاد معانيها وحدها ، بل ذكر ما اورده غيره ولو كان فيه تجوز وتوسع ، وان نقده فى احيان اخرى ، قال :

وربما كان فى بعض الذى ذكروا
تسامح بعموم او بما لزما

فاقتفي اثرهم طورا ، وآونة
ابدي الذى يتراءى فيه للفهما

ولم يلتزم ايراد المعنيين المتضادين فى كل لفظ من الاضداد ، بل حذف احيانا المعاني المعروفة المشهورة واكتفى بايراد المعاني غير المعروفة ، قال :

طورا اجيء بكل المعنيين وطو
را بالذى كان مجهولا ومنبهما

فان تعددت الاضداد جئت بما
يغني عن الضد من كل ، لينفهما

ويريد بالبيت الثاني ـ كما نص شارحه ـ : « ان كثرت الاضداد بأن كان اللفظ مشتركا بين اربعة معان مثلا ، كل معنيين منها متضادان ، جئت من الأربعة مثلا ، بما يغنى عن الضد من كل منها وذلك اني اذكر معنيين فقط : كل منهما محذوف الضد لينفهم المحذوف بالمذكور » .
وسار فى ضبط الفاظه على هدى القاموس المحيط ، قال :

ينبيك قاموسها بالاصطلاح لها
اذ منه مرجانها واللؤلؤ انتظما

ما كان مهملا اومفتوحا اوله
اطلقته وضبطت الغير معتصما

والوزن فيما له قد حركوا اوله
قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما

فان ضرورة شعر قد دعت لسوى
هذا ، اشرت اليه خوف ان تهما

واتبع ترتيب الفيروزابادي وتقسيمه لقاموسه، فالكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحرف الاخير للكلمات التي فيها . وترتب الكلمات فى داخل هذه الابواب بحسب حروفها الاولى فالوسطى . ولكن الشعر ارغمه احيانا على الاخلال بهذا الترتيب فى داخل الابواب لا بين الابواب . اعني الاخلال فى ترتيب الحروف الاولى ، او الحروف الوسطى ، اما الحروف الاخيرة فلا .

وهاك قدرا مما قاله الناظم فى « باب الهمزة » لتبرز معالم منهجه :

بغرة الشهر فسر **البراء** كذا
بالانس **فسر بساء** واكسرن لهما

ثم البلاء لمنحة أتى ولمحـ
ـنة ، كما جاء فى القرآن منفهما

ثائات ابلى : اي ارويتها ، وكذا
ثائات هي : اي اضحت ذوات ظما

والاجتداء بسؤال فسروا وعطا
كذا **الجداء** ، قاله القالي عن العلما

واجفـيء الباب : اغلقـه ، **وداداه**
معناه حرك ، والتسكين قد فهمـا

دارات خصمي ـ مهموزا، كذاك بيا ـ
دافعتـه ، وكـذا لاينتـه كرمـا

وقام المؤلف نفـه بشرح قصيدته فى كتاب سماه « الرونق على الـدورق » اكثـر فيه واطـال واستطرد . ولكنه ـ فيما يبدو ـ لم يتمه ؛ وانمـا اعطانا وصفه احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني ؛ فى مقدمة شرحه للدورق . قال : « وكان ـ حفظه الله ـ قد ابتدا شرحه الموسوم بالرونق على الدورق، لكنه طال وسار بل سال ، فى رياض الادب الفوال ، عن يمين وشمال . فانه التزم فيه تحـف المناسبات الظريفة ، طرق الاستطرادات الشريفـة ؛ وحقـق ودقق ، ونمق وانق ؛ وحرر وحبر ، ونضد ونضر ، ونثر الدر والجوهر ، فاكثر ... فقد رايت منه اربعة كراريس ، يبذل الاديب فى مثلها النفس والنفيس . ولكنه زهر فى الاكمام ، وطفل لم يبلغ حد الفطام..»

ورجا المؤلف من الحلوانـي ان يؤلـف شرحـا مختصرا على قصيدته . فحقق الرجاء بكتابه الذى تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844 لغة ، بعنوان « الكاس المروق على الدورق » ، وقد فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وثلاث مئة والف من الهجرة الشريفة ».

وحدد الحلواني خطوات منهجـه بقولـه فى مقدمته : « فشرعـت فى الشـرح ومـا اطيلـه ، فالمقصود الدورق وهو سبيله . الا اني ان ظفـرت بشيء من الاضداد ، فى باب من الابـواب ، فاني اذكره تتميما للمراد ، فى خاتمة ذلك البـاب . ولا التزم فى اخذه من نحو القاموس او تاجه : ان تكون نصا فى الضدية ، سيراجع الدورق فى منهاجه من اعتبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصا ، فاني ان رمته استعصى ، كيـف واللغـة بعيـدة الساحل ، مديدة المراحل ؟ ... ولكن ما جاء عفـوا اخذته صفوا . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام مشهور ، مجته اسماع الجمهور ، فاسود به وجـه السطور ، فذلك مما ينفر الطباع ، ويكدر الاسماع ، ويكون عارا لا يمحوه اعتذار ولا استشفاع ، اللهم الا ان كان من الحقوق الواجبة ، او سيق لمناسبـة ، او نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالفيء ، فهذا لا اتحاماه ، بل احمي حماه ، واتقي اذاه ، الى ما ستراه ، ان شاء الله ، من الالماع، بمـا يسحـر الاسماع، من تحقيقات شريفة ، وتدقيقات ظريفة .. تراها مرة شرعية ، وكرة ادبية ، وطورا يمانية ، وحينا معدية ... يرتاح اليها الفقيـه ومن حـذا حذوه ، واللغوي ومن نحا نحوه ..» .

وداب الرجل فى هذا الشرح على معالجة نص الناظم نحويا وعروضيا وتفسيره تفسيرا كاملا ، وتناول كل ما عن له من مشاكل فى النص . فهو يقوم على طريقة المتون والشروح والحواشي التى كانت تسود العهود الاخيرة من تاريخنا . وصدر كل باب بكلمة عن عنوانه .

منبـه الـرقـاد

تملك دار الكتب رسالة اخرى فى نظم الاضداد، تحت رقم 329 لغة ، باسم « منبه الرقاد فى ذكـر جملة من الاضداد » لا يعـرف مؤلفهـا . وقد تـم نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان سنة اربع وثلاث مئة والف ، كما فى آخرها .

وتختلف هذه القصيدة عن السابقـة فى عدة مظاهر ، اولها ان هذه من المزدوج الـذى يقفـي شطراه وحدهما ، وتختلف القافية فى الابيات بعـد ذلك . اما السابقـة فكانت من بحـر البسيـط ، والتزمت فى رويها الميم المشبعة الفتحة . واتفـق الاثنان فى الابتداء بمقدمـة شرح كل منهمـا فيهـا منهجه . ولكن المنهجين لا يتفقان تماما . فقد صرح ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بأن قصـده بها علمي هو تنبيه الغافلين والجاهلين ـ ومـن ثـم اسمها ـ على حين كان مقصد الابياري ادبيا علميـا كما راينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهـذا النظـم
تنبيـه كـل غافـل وامـي
سميتـه منبـه الرقـاد
فى ذكر جملة من الاضـداد

وأراد ناظمنا ـ كما اراد الابيـاري ـ الجمـع ورجع فى سبيله الى القاموس والصحاح وكتب ابن ابن جني على حين رجـع الابيـاري الى القامـوس وشروحه . يقول الناظم فى المقدمة :

احسب ما وجدت منها مع قصور
وغيبتي عن فنها مع الحضور

واحسب هنابمعنى اعد ، ويقول فى الخاتمة :

معتمدا ضبطي على القاموس
لانني فى الفن كالبابوس (30)
وفى الصحاح جاعلا مجني
وربما اخذت فى ابن جني

وجعل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة بالاضداد وخاصة المصادر والصفات ، على عكس الابياري يقول :

وربما اومي للاشتقاق
والقيد ان كان وللاطلاق
وللمصادر فاضبط الكلم
والوصف مع بعض اللغات المنبهم

وخصص الجزء الاخير من قصيدته للالفاظ المتماثلة ـ اي الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض حروفها بالابدال ـ والمقلوبة ، يقول :

وللمماثلين والمقلوب
عونك يا مقلب القلوب

ولجأ فى تقسيم قصيدته الى التقسيم الذى ارتضاه صاحب القاموس ، والابياري . فالقصيدة مقسمة الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الاضداد التى يحتوي عليها كل باب ، والالفاظ ترتب فى داخل الابواب بحسب حروفها الاولى ، واواسطها ولكن الترتيب كثيرا ما افلت منه فى داخل الابواب.

وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما يريد نظمه ، واشياء من منهجه ، والدعاء الى الله ان يغفر ذنوبه ، والصلاة على الرسول وآله وصحبه والتابعين .

وهذا باب الهمزة منه ، يمثل تناوله ونظمه :

ثانأ ذا ابله : ارواها
كذا اذا اغرى بها صداها

وثاثات هي : اذا ما رويت
يوم ورودها ، كذا ان عطشت

وجفا الباب : اذا ما اغلقه
كذا اذا فتحه : فحققه

دارات ذا : دفعته لشره
كذا اذا لاينته لعسره

رقا : افسد واصلح ، خذ
والمصدر الرقؤ، والرقا انبذ

والقرء، بالفتح وبالضم اتى
يكون للحيض وطهر ثبتا

وناء زيد : خف او قد ثقلا
فعجز الحال به بين الملا

ثم **الورا** بهمز لا اعتلال
يكون خلف وامام تالي

عكس الذى توهم الامام
الجوهري العالم الهمام

ويتضح من هذه الابيات ان الناظم خالف الابياري فى عدة مظاهر : اهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين فى كل نفظ ، عدم التزام قافية واحدة فى جميع الابيات ، ثالثها الاشارة الى المشتقات مثل مصدر الرقؤ ، رابعها الضبط واللغات فى القرء ، خامسها نقد الجوهري فى « وراء » اذ جعلها مع المعتل واصلها الهمز ، وقد اخذ هذا النقد من الفيروزابادي ، سادسها انه يترك بعض الاضداد التى ذكرها الابياري، اي عناية الاخير باستقصاء الاضداد اشد من عناية صاحب « المنبه » . ومن اهم اوجه الخلاف ايضا شعور المرء ـ بان قصيدة صاحب « المنبه » اشد سلاسة ، واعظم وضوحا ، واقل تكلفا من قصيدة الابياري .

وهناك اوجه خلاف اخرى لم تظهر فى الابيات السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها ، اهمها اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعاني التى لا تدخل فى المعنيين المتضادين للاضداد مثل قوله :

---

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

الأزر للضعف والقوة قل

وللاحاطة وللظهر نقل

فمعاني الشطر الثاني لا تدخل في الاضداد ، وقوله :

وبتر الرجل : اعطى ومنع

كذا اذا على الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين ، وكذلك قوله :

والشسع ـ بالكسر ـ : قبال النعل

ولقليل المال ثم الجدل

فشسع النعل ليس من الاضداد . وامثال ذلك كثيرة ، ولم يعن الابياري بها .

ويعيب هذه القصيدة امران : قلة الاضداد فيها عما في الدورق ، وكثرة الاضطراب في الترتيب ، كما يظهر في باب الباء ، والحاء والدال ، والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصول عن الأضداد

لم يقصر لغويو العرب جهودهم على تأليف كتب مستقلة للاضداد ، بل شارك بعضهم في هذه الحركة ، بتخصيص ابواب او فصول للاضداد من كتبهم الجامعة . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان نغفل او نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل شأنا من الكتب المستقلة .

وقد وصلت الينا خمس مجموعات تحتوي على ابواب مخصصة للاضداد ، وهي بترتيب ظهورها : الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بين عامي 223 ـ 230 ـ ، وادب الكاتب لابن قتيبة 270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى عام 429 ، والمخصص لابن سيده المتوفى عام 458 ، والمزهر للسيوطي المتوفى عام 911 هـ .

الغريب المصنف

اما ابو عبيد فاعتمد في « باب الاضداد » من غريبه على اساتيذه « ابي زيد ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، وابي محمد اليزيدي ، والكسائي » (31) والثلاثة الاول خاصة. واورد في هذا الباب 41 ضدا، كلها موجود في الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان اعتماده على اساتذته ، كان يروي عنهم مباشرة ، فصدر الباب بعبارة : « سمعت أبا زيد يقول » . وانواع الاضداد عنده قليلة ، تتألف من الاضداد الحقيقية ، واضداد التفؤل ، واللفات ، والقلب ، وصيغة أفعل .

وسار المؤلف على خطة ايراد اللفظ ، ثم معنييه، ثم شواهده ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله . وهو في اغلب المواد قريب من اضداد ابن السكيت متفق معها . قال مثلا : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . وقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته في لغة بني عقيل ، وسائر قيس يقولون : لمقته : محوته » . وقال ابن السكيت (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . ويقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته في لغة عقيل ، وسائر العرب يقولون : لمقته : محوته » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر عبارة ابن السكيت ، كما نرى في قوله : « فرع الرجل في الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال معن بن اوس :

فساروا ، فاما جل حي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرع في الحالين جميعا». وقال ابن السكيت (41) : « فرع الرجل : اصعد وفرع : انحدر ، قال معن بن اوس :

فساروا : فاما جل حيي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدا

---

(31) البغية 376 .

(40) 323 ـ 4

(41) 313 .

ويروى : فاصعدا . ويروى : فافرعوا . وقد افرع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وافرع : اذا صعد ، قال الشماخ :

فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي
لا يدركنك افراعي وتصعيدي

وقال رجل من العبلات من بني امية :

اني امرؤ من يمان حين تنسبني
وفي امية افراعي وتصعيدي

الرواية : وتصويبي » . فحذف ما اورده في « افرع » حتى التبس قوله بعض الشيء ، وحذف ما بعدها من شواهد . وكثيرا ما كان يحذفها اختصارا .

وبرغم هذا الاختصار ، كان يزيد احيانا على ما في اضداد ابن السكيت ، مثل قوله : « قال ابو زيد : السدفة في لغة بني تميم : الظلمة ، والسدفة، في لغة قيس : الضوء . وكذلك قال ابو محمد اليزيدي ، وانشد للعجاج :

« واقطع الليل اذا ما اسدفا »

اي اظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار» . ولم يرو ابن السكيت (42) ولا ابو حاتم (43) ولا ابن الانباري (44) العبارة الاخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهده ، والالتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتفق مع ابن السكيت في اكثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك في قوله : « قال الاصمعي : شعبت الشيء اصلحته، وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي المنية لانها تفرق . وانشدنا لعلي بن غدير الغنوي :

واذا رايت المرء يشعب امره
شعب العصا ويلح في العصيان

فاعمد لما تعلو فمالك بالذي
لا تستطيع من الامور يدان

قوله : يشعب امره : يعني يفرقه ويشتته . وقوله : لما تعلو ، يقول : تكلف من الامور ما تقهره وتطيقه » . وشرح ابن السكيت أوفى من ذلك ، اذ قال (45) : « قوله : يشعب امره : يفرقه . يقال : شعبت اهواؤهم: اي تفرقت. وقوله : لما تعلو : يعني تكلف من الامر ما تطيقه وتقهره ، ويقال : هو عال لذلك الامر : اي ضابط له قاهر » .

وتاتي مزايا هذا الباب من الاضداد من أنه يصحح بعض نقول ابن السكيت ، كما فعل في (لمق) اذ نسب معنى (محا) الى قيس . موافقا بذلك ابا حاتم (46) وابن الانباري (47) ، ومخالفا قول ابن السكيت (48) .

ويمتاز ايضا بانه ينسب كثيرا من الاضداد التي اهملها ابن السكيت وابو حاتم الى اصحابها الذين قالوها ، مثل افاد ، واودع والمشيح وصارخ وهاجد وصريم وبثر وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي ان نضع في مزاياه زياداته في تضاعيف الشرح ، والخطة التي اتبعها في علاج الاضداد ، وجعلته لا يعني الا بما اتصل بها ، ويحذف ما عدا ذلك ، ويقلل الشواهد ، حتى صار الباب في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري الخاصة بالشواهد والمعلومات ، وبين كتاب الصغاني الذي حذف الشواهد جميعها.

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبعا لها مادة « دون » مرتين : اولاهما في منتصف الباب عن ابي عبيدة ، وثانيتهما في آخره تقريبا عن غير ابي عبيدة . ولن نعتذر عنه باختلاف الراوي لانه كان يستطيع التنبيه الى ذلك في الموضع الاول ، ويستغني عن التكرار .. والمأخذ الثاني عليه ايراده بعض الاضداد التي نقدها المؤلفون ، مثل خندذ

---

(42) 43، 316 .
(43) 1144 .
(44) 645 .
(45) 277 .
(46) 1372 .
(47) 133 .
(48) 50، 324 .

واسر ، التى اوردهما ابو عبيدة ، ونقدهما ابو حاتم ، ونقل النقد ايضا ابن الانباري .

— * —

ادب الكـــاتـــب

وافرد ابن قتيبة بابا صغيرا من ادب الكاتب ، « للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا. ونهج على ان يقدم اللفظ المراد ثم معنييه المتضادين. واكتفى بذلك كثيـرا ، وفى مـرات اخـرى اورد شاهدا من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشطر واحد من الشاهد . ونسب فى احد الاضداد قولا لابي عبيدة، وآخر للفراء . واورد فى احد الاضداد ايضـا قـولا يبطل التضاد اخذه من ابي عبيد وان لم ينبـه الى ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجون : الاسود ، وهو الابيض ، قال الشاعر :

يبـادر الجونـة ان تغيـبـا

يعني الشمـس .

والصريم الليل ، والصريم الصبح .

والسدفة الظلمة ، والسدفة الضوء ، وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار .

والجلل الشـيء الكبيـر ، والجلـل الشـيء الصغير » .

سـر العربيـة

وافرد الثعالبي فى كتابـه « سر العربيـة فى مجاري كلام العرب وسننها والاستشهـاد بالقـرآن على اكثرها » فصلا خاصا بالاضداد ، سماه « فصل فى تسمية المتضادين باسم واحد (50) » .

وهذا الفصل قصير جدا كبقية فصول الكتاب، يحتوي على ثمانية اضداد فحسب . نهج المؤلف فى معالجتها ، على ان يذكر الكلمة ، ثم معنييها . قال مثلا : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاطهـار والحيض ، والصريم لليل والصبح .. » واستشهد على ضدين فقط ، احدهما ببيت من الشعر ، والثاني بآية من القرآن : قال الخيلولة للشك واليقيـن ، قال ابو ذؤيب :

فبقيت بعدهم بعيش ناصـب
واخال اني لاحق مستتبـع

اي واتيقـن . والنـد المثـل والضـد وفـى القـرآن : (وتجعلـون لله انـدادا) علـى المعنيين » . وواضح من هذه الخطة ان المؤلف لا يريد الا ان يأتي ببعض الامثلة على الاضداد فى اللغة ، اذ هي فى رايه « من سنن العرب المشهـورة » كما قال فى أول فصل الاضداد . فالاضداد عنـده ليسـت مسألة او مشكلة علمية تبحث ، بل مسالـة فـرغ البحث منها ، فهو يشير اليها فقط، ويمثل لها ..

ونستطيع ان ندخل من كتابه ثلاثـة فصـول اخرى ، لان مؤلفي العرب القدامى اعتبروا امثالهـا من الاضداد ، وهي « فصل فى المفعول يأتي بلفظ الفاعل و « فصل فى الفاعل يأتي بلفظ المفعول (51). و « فصل فى المدح يراد به الذم فيجرى مجرى التهكم والهزل » . ويحتوى الفصل الاول على سبع كلمات. ودرج فيه على ذكر الكلمة فى عبارة ، ثم يفسرها باسم المفعول . قال : « تقـول العـرب : سر كاتـم : اي مكتوم . ومكان عامـر : اي معمـور » . ولم يـورد الالفاظ الباقية فى عبارات ، بل فى آيات قرآنية ، والاخيرة منها فى بيت من الشعر ، وفسرها كالكلمات الاولى . قال : « وفى القرآن لا عاصم اليوم من امر الله) اي لا معصوم . وقال تعالى : (خلق من مـاء دافق) اي مدفوق . وقال : (عيشة راضيـة) اي مرضية . وقال الله سبحانه : (حرمـا آمنـا) اي مأمونا . وقال جرير :

ان البليـة مـن تمـل كلامـه
فانفع فؤادك من حديث الوامق

اي من حديث الموموق » .

ويحتوي الفصل الثاني على لفظين ، ذكرهمـا المؤلف فى آيتين ، وفسرهما باسـم الفاعـل قال : قال تعالى : (انه كان وعده مأتيا) اي آتيا . وكما قال جل جلاله : (حجابا مستورا) اي ساترا » .

---

(49) 177 – 181 .
(50) 5652 .
(51) 492 .

ويحتوي الفصل الثالث على اربع عبارات، تجري مجرى الاستهزاء فى كتب الاضداد ، والاخيرتان منها آيتان قرآنيتان . ولم يعلق المؤلف على الأقوال او الآيات ، ولم يفسرهما لوضوح مقصده منها فى عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمراة تستقبحها : يا قمر . وفى القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لانت الحليم الرشيد) » .

— * —

المخصص

وافرد ابن سيده فى كتابه « المخصص » (52) بابا للاضداد سماه « كتاب الاضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والاضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة فى بحثها . وتناول فى هذه المقدمة تقسيم الكلام الى مختلف ، ومترادف ومشترك وعلل كل قسم منها ووضع الاضداد فى المشترك وبين ان اصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكريها كما رد على منكري الترادف . واقام كلامه هذا فى المقدمة على ما قاله سيبويه فى اول كتابه ، وشرح ابي علي الفارسي لهذه الاقوال .

واورد ابن سيده فى بابه حوالي مئة ضد ، اعتمد فى الشطر الاول منها على أبي عبيد ، وفى الثاني على ابن السكيت ، واورد فى الجزء الاخير منها اضدادا من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الاول يسير متفقا مع ترتيب باب اضداد الغريب المصنف اتفاقا تاما ، عدا مواضع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر، او اختل الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقا مع ترتيب كتاب ابن السكيت تماما ، مع حذف المواد التى سبق اقتباسها من ابي عبيد . اذا كان الاثنان اشتركا فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذى سار عليه ابو عبيد الا انه مال الى الاختصار اكثر منه . وتمثل هذا الاختصار فى تغيير عبارته ، وعبارة ابن السكيت ، بما يضغطها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك فى قوله (53) : « يقال لقت الشيء المقه لمقا : كتبته، عقيلية ، ولقته محوته ، قيسية » .

ونرى ذلك فى قوله (54) : « المقوي : الذى لا زاد معه ولا مال له ، والمقوى : المكثر : يقال : اكثر من (اتيان) فلان فانه مقو ، والمقوي : الذى ظهره قوي » . وحذف فى بعض المواضع عبارات ضرورية فى المادة . مثال ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفار » فاقتصر على العبارة الاخيرة من قول أبي عبيد ، ولم يظهر وجه اعتباره المادة من الاضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من اشياء . فقد حذف اسماء اللغويين الذين رووا الاضداد وذكرهم ابو عبيد وابن السكيت ، واكتفى بنسبتها الى أبي عبيد وابن السكيت . وكان ابو عبيد خاصة يجب ان يشير الى الاضداد التى اتفق فيها بعض اللغويين ، فحذف ابن سيده كل ذلك ..

وحذف بعض الشواهد ايضا .

اما الشواهد التى ذكرها فحذف كثيرا من اسماء قائليها ، وكان ابو عبيد وابن السكيت يذكرهم . وآخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة فى اول المادة ، فى بعض الاضداد ، مثل : « شريت : بعت واشتريت ... دحت الشيء دوحا : جمعته وفرقته ..

ولكن — برغم ميله الى الاختصار — كان لا يحذف شرح الشاهد او التعليق عليه ، كما نرى فى شرى ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان فى بعض المواضع يحذف الشاهد ويأتي بآخر بدلا منه ، كما فعل فى « سواء » .

ويمتاز هذا الباب — الى جانب الاختصار — بما اتى به من اضداد زائدة على ما فى كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد رجع — للمرة

---

(52) 13 : 258 .
(53) 26 .
(54) 265 .
(55) 261 .

الاولى فى تاريخ الاضداد ـ الى معاجم اللغة الكبيرة، كجمهرة ابن دريد (دوح والعكوك وخفق وغيرها) والعين للخليل (الحصباء والزاهق) ورجع الى علماء لم يؤلفوا فى الاضداد ، ولكن التقطوا منها أشياء كأبي حنيفة الدينوري (الزاهق) أو الفوا فيها ، ولكن روى عنهم اضدادا ليست فى كتبهم كابن السكيت (الحرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاضداد الزائدة عن علاجه لاضداد ابي عبيد وابن السكيت ، غير أنه خصص لها الجزء الاخير من بابه . وان تناثر منها شيء فى داخل كلامه المقتبس عن ابي عبيد وابن السكيت ..

ولم يزد فى الاضداد وحدها ، بل زاد أحيانا فى الشرح ، مثل ما فى (أودع) ، واحيانا بايراد بعض المشتقات التى لم يوردها سابقوه ، مثل ما فى (المشيح) ، وبعض الزيادات الاخرى التى نرى أمثلتها فى نهل . وشرى ، ومثل ، وظن ، وسواء ، وخشب وغيرها . وكان فى بعض الاحيان أو أكثرها ينسب هذه الزيادات الى اصحابها .

وفى آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ، وجعل عنوانها « ما هو فى طريق الضد » . وهو فصل شبيه بالقريب من الاضداد او ما يجري مجراها ، مما رايناه فى كتب الاضداد . واورد فيه بعض الالفاظ التى تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون متضادا ، مثل قوله : « سنح عليه الشيء يسنح سنوحا : سهل، وسنحت بالرجل : احرجته » . وروى أحد هذه الالفاظ عن ابن السكيت (وليست فى اضداده واحدها عن صاحب العين واحدها عن أبي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على اربعة الفاظ فقط .

وخلاصة القول ان هذا الباب من المخصص جدير باسم « كتاب الاضداد » الذي اطلقه عليه مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة فى شيء ـ لا فى مقدمة تبحث المشكلة ، ولا عدد الاضداد او علاجها او شواهدها ، أو ما الى ذلك . بل ماثلها فى العناية بما يجري مجراها ايضا . ولكنه من الكتب التي تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها بالاضداد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ، فلا تكثر من الاستطراد وتناول الامور النحوية واللغوية والمعاني الاخرى للاضداد ، وما ماثل ذلك من امور وجدناها فى بعض الكتب المستقلة . فهو فى مرحلة متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصغاني القاصر على متن الاضداد ، أو هو بعبارة ادق ، فى مرحلة متوسطة بين باب الاضداد عند ابي عبيد وكتاب الصغاني من حيث التناول ، ولكنه يفوق باب ابي عبيد من حيث عدد الاضداد التى يحويها . وادق وصف له أنه اعظم باب من مجموعة لغوية فى عدد الاضداد ، ومن احسنها دقة تناول . ولا يعيبه غير بعض ما اجراه من حذف شديد فى بعض الاضداد القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

— * —

المزهـــر

وفى القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلا من كتابه « المزهر » للاضداد ، وعنوانه « النوع السادس والعشرون : معرفة الاضداد » . وعالج السيوطي الاضداد علاج ابن سيده لها ، اي اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناولت تقسيم الكلام ، واقوال بعض اللغويين فى ذلك وفى الاضداد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس اقواله هذه من علماء لم نرهم فى المخصص ، مثل الكيا ، وابن فارس والمبرد . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الاضداد نفسها .

واعتمد السيوطي فى الجزء الاول من اضداده على ما رواه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكنه حين انتهى من أضداد ابي عبيد لم يقتبس اضداد ابن السكيت مثله بل تتبع الاضداد فى بعض المعاجم مثل جمهرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهري ، والجمل لابن فارس والقاموس للفيروزابادي ، وكتب الامالي والرسائل الخاصة مثل أمالي القالي ، ومجاز الكلام وتصاريفه لثعلب ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، ونوادر ابن الاعرابي والمقصور والممدود للاندلسي ، والمشاكهة للأزدي ، والافعال لابن القوطية . ويتضح من هذا ان السيوطي خالف القدماء فى المراجع التى اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاضداد نفسها، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض المعاجم . فلما جاء السيوطي اكثر من هذا الورد وتوسع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه ان يذكر اللفظ ومعنييه المتضادين ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنى . ولا يعنى الا بما تعلق بالاضداد نفسها ، اي يحذف

الشواهد ، والشروح ، والمشتقات وما اليها ، فلا ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من « متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصغاني . يقول مثلا (56) : « اجعلب الرجل : اذا اضطجع ساقطا ؛ واجعلبت الابل : اذا مضت جادة . وبعت الشيء : اذا بعته من غيرك ، وبعته : اشتريته . وشريت : بعت واشتريت . وشعبت الشيء : اصلحته ؛ وشعبته : شققته ، وشعوب منه ؛ وهي المنية لانها تفرق . والهاجد : المصلي بالليل . والهاجد : النائم » .

ولجأ في الاضداد التي نقلها عن ابي عبيد الى ترتيبها على قائلها . فقد نثر ابو عبيد اضداد كل لغوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكانت عنده مختلطة بما يروى لغيره فلما ادخلها السيوطي في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم اضداد ابي زيد ، فالاصمعي فابي عبيدة فالكسائي فالاموي، فما رواه غير واحد ، فاضداد ابي عمرو ، فالاحمر . وكان واجبا عليه تأخير الاضداد المهملة الى ما بعد اضداد الاحمر . ومن الغريب ان «الاحمر» لا يرد له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف الموجود في ايدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من نسختنا وكان في نسخة السيوطي . اذ ان هناك بعض الاختلاف بين النسختين ، فبينما تنسب نسختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السيوطي لابي زيد ، وسقط من نسختنا احد معنيي « اشكى » المتضادين ، وهو موجود عند السيوطي .

ولكن السيوطي عندما ترك اضداد ابي عبيد اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب الكتب التي اخذ منها ، بل اورد ما وقع منها تحت نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده بعض المواد مرتين واكثر ، مثل « سوى » رواها عن ابي عبيد — وابن دريد ، و « الفابر » رواها عن ابن دريد والجوهري ، و«نصل» عن الفارابي والجوهري، وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مئة وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السيوطي فصله بفائدة ذكر فيها اسماء بعض من الف في الاضداد ، ثم سرد اكثر مقدمة كتاب الاضداد لابي بكر بن الانباري ..

---

(56) 1 : 188 .

وخلاصة القول في هذا الفصل انه يضارع فصل ابن سيده ، ولا يقلل من شأنه الا استغناؤه عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع كتاب الصغاني ، غير ان هذا يفوقه في الترتيب والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

« الخاتمة »

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، ويأبى ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق العقلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعان على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت الالفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلة من المحدثين . وكانت الفئة الاخيرة — او افراد منها — هي التي حاولت ان تعلل هذه الظاهرة الغريبة بالرجوع الى التفكير البشري في فطرته وسذاجته ، او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية اخرى بمثل سوء الفهم الذي احيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد مبكر ، اختلف اللغويون فيها ، ولا زالوامختلفين . فاذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم تتنافر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا. فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد، وفي داخل مجال واحد ، لهدأ كثير من الخصومة ، وبطل كثير من الادلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للاضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز اية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم يعثروا على اضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الاضداد برمتها . وابوا ان يسموا بالاضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتها اللغة العربية بعد .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ فى وضعها الاول. واعلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه دالا على معنيين متضادين. اما اذا كان الاستعمال او التبدلات اللغوية او التغييرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة ، فتبدو الآن فى صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فأدى به الى الدلالة على معنيين متضادين يأبى المنكرون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قبلية ، او حذفا ، او تخفيفا او ابدالا ، او اعلالا ، او مجازا ، او تفاؤلا وتطيرا ، او ما شاكل ذلك من أمور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب فى دلالته هذه ، بل وضع أصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم ومجالهم. نظروا الى اللغة العربية فى شمولها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او — ان شئنا الدقة — لم تهمهم الاسباب — فقد عرفوا اسبابا الظاهرة . واعلن اكثرهم أن كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتضها الاخيرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . وامعنوا النظر فى الالفاظ العربية التى يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يأبهوا للاسباب التى ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب فى الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله ، لان وجود سبب للتضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتنازعين :

1 — هل توجد فى العربية الفصحى التى نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ، ومعنيين متضادين؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

2 — هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . واضيف الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد فى بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفى بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقصة للغة العربية ، كماظن الشعوبيون قديما ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع — فى اعتقادي — التى حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة فى رفض الاضداد .

3 — هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص . اما المؤيدون فقد سموها « الاضداد » ، فاذا كان المنكرون يجدون لها تسمية اكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 — هل الاضداد بالشيوع الذى صوره القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضاق حينا واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال فى بادىء الامر عند المتحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غريبا عند اول مؤلف فى الاضداد : قطرب ، فشمل شتاتا غريبا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اكثر من جاء بعد قطرب الى تضييق المجال الذى وسعه ، ونفي كثير من الفئات والالفاظ التى ادخلها فى كتابه . فأخذ تصور الاضداد فى الوضوح ، وحدودها فى البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فالمجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 — هل نعد كل الانواع التى اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟.

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . واضرب امثلة لذلك بما يلي :

أ ــ ما اختلف فى تفسيره من الآيات، والاشعار، والاقوال . فالاتفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وانما جاء التضاد من اختلاف الناس فى فهم هذه العبارات فى مجموعها . ومثال ذلك الآية التى اوردناها سابقا : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) . فقد اختلف المفسرون فيما يتعلق به الجار والمجرور (من آل فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذوف صفة لـ (رجل) ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا، من أقرباء فرعون ، يكتم ايمانه عن الناس جميعا . وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وان الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وان الترتيب العادي لها : قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ، غير انه يخفي هذا الايمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ب ــ الفاظ وعبارات التفاؤل والتطير والاستهزاء . فاننا يجب ان نعترف ان المتحدث قد يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احيانا على الواقع الخارجي ولا يصدق اخرى . فالمتحدث (المتفائل او المتطير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ، فيوفر لنفسه كل السبل التى تؤدي به الى نسيانه. ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطاؤه اسما آخر لا يدل عليه . واذن فالمتفائل حين يسمي الملدوغ سليما ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التى يكرهها ، بل الصورة التى يحبها . فاللفظ اذن مستعمل فى معناه الاصلي ، وان كان لا يتفق مع الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث يريد ان يرسم فى ذهن المستمع صورة متفائلة . فاللفظ لا يدل الا على معناه الاصلي عند المتكلم والمستمع كليهما ، وان كان معناه ذهنيا لا واقع له فى الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك تفاؤل او تطير او استهزاء . واذن ليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ج ــ ما وضع فى الاضداد تعسفا او تكثرا ، مثل الالفاظ التى تختلف معانيها دون ان تتضاد ، والالفاظ التى تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من ادوات كرغب عن والى ، وانصرف عن والى ، وغيرهما .

6 ــ ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى الذى يدل عليه اللفظ . وهنا احترز فأقول المعنى الحق للفظ . واعني بهذا الاحتراز امثال هذه الالفاظ التى لم يحسن بعض اللغويين التنبه الى معناها الحق، ونسبوا اليها معاني بدت متضادة . فالصريم هو الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر، كالليل ينقطع من النهار ، والنهار ينقطع من الليل ، وليس الصريم الليل خاصة ولاالنهار خاصة . والدليل الجلي على ذلك اصل اللفظ ، ومعناه ، فأصله الصرم ومعناه القطع .

والسدفة ليست ظلمة حالكة ولا ضوءا مشرقا ، بل هي الظلمة التى ينبعث فيها الضوء ، او الضوء الذى تشوبه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ، سواء كان هذا عند دخول الليل او انبلاج الصباح .

وامثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء انفسهم ، كما فعلوا فى الأتم والطرب وغيرهما . وليست هذه الالفاظ من الاضداد فى شيء.

واذن فما وجدنا معانيه تؤول الى معنى واحد لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد . وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا او ذهنيا ، يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يمكن الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة للاضداد ، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .